التذوق الجمالي للبيئة

هند علي محمد بن غزى
كلية الفلسفة، جامعةالزيتونة

المقدمة

لا مجال للشك إن للبُعد الجمالي دوراً فعال في التأثير على البيئة ذلك أن تذوقنا واستجابتنا للبيئة تتطلب ذلك الاهتمام والدراسة للذائقة الجمالية والذي يلعب بها الخيال والوعي دوراً مهماً في الخبرة الجمالية إذ تعد من أهم الموضوعات الفلسفية عن فلاسفة الجمال.

ونظراً لأن العامل الجمالي يمنحنا الشعور بالرضى والمتعة في تذوقنا للبيئة التي تشمل الطبيعة بمعناها المادي والمعنوي من قيم وفنون وتراث وتقاليد، التذوق الجمالي نسيج سلوكي قيمي يتكون من عناصر تتمثل في الحساسية الجمالية والتفضيل الجمالي والحكم والخبرة الجمالية، حيث تتعلق أحساسينا الجمالية بمستوى الفرد واستجابته للمثير الخارجي الذي تحدثه حواسنا إزاء الجميل في البيئة من مفاهيم الشكل والدقة والانسجام تلك المفاهيم التي يتحدث بها الإبداع الجمالي من عوامل بيئية ومؤثرات ثقافية.

وقد جاءت هذه الدراسة لمعرفة ذلك العنصر الجمالي ومفهوم الذائقة الجمالية ودورها في البيئة لما لهذه العلاقة من أهمية تمس حياتنا اليومية وسلوكياتنا إزاء البيئة وعلاقتها بالإنسان وتذوقنا الجمالي لها والذي يعد من أهم العوامل المؤثرة على البيئة. (عبدالحميد شاكر، 1990، ص382-384).

ولكي يمكننا فهم العلاقة بين مستوى التذوق الجمالي للإنسان وعلاقته بالبيئة سنقوم أولاً بمعرفة مفهوم التذوق الجمالي لكي يتسنى لنا فهم طبيعة العلاقة بين العناصر الجمالية والتي بدورها ترفع من مستوى التذوق الجمالي وترتقي بالإنسان بعلاقته بالبيئة والبيئة في حد ذاتها.

ولعل الدراسات الحديثة أكدت على الاهتمام بالمنطلقات الجمالية وعناصرها في الخبرة البيئية، وأصبحت كل تلك المنطلقات وما لها علاقة بالاهتمام الجمالي إحدى سياسات العامة للبيئة.

ويمكننا صياغة إشكالية هذا البحث في تساؤلات التالية:

1. هل للذائقة الفنية دور في جماليات البيئة؟
2. ما مفهومنا للتذوق الجمالي في الفن والطبيعة؟
3. ما الموقف الجمالي وعلاقته بالبيئة؟
4. دور الذائقة الجمالية (الفنية) والمنظور البصري للطبيعة؟
5. هل التذوق الجمالي للبيئة منزه عن الغرض؟

أهداف البحث:

أهداف هذا البحث يمكن اختصارها على النحو التالي:

1- يهدف هذا البحث إلى ألقاء الضوء على أهمية الذائقة الجمالية وأثرها وتأثيرها على البيئة والإنسان.

2- التعرف على مفهوم التذوق الجمالي على المستوى الفني والطبيعي من المتذوق والفنان والذي يعد من أبرز موضوعات فلسفة الجمال.

3- محاولة توضيح العلاقة التي تربط مجال التذوق الجمالي ومجال البيئة والطبيعة لما لهذه العلاقة من أهمية على حياتنا إذ يجب على الإنسان الاهتمام لجماليات البيئة من خلال حسه الجمالي ودوره الفكري في تطوير الوعي بها.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في كون هذه الدراسة من الدراسات الإنسانية التي يجب سبر أغوارها على المستويين الجمالي والبيئي فلم تحض بأهمية كبيرة عند الفلاسفة قديماً بل دخلت حديثاً ضمن الدراسات الجمالية في عصرنا الحاضر.

وقد انقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

الأول منها: مفهوم التذوق الجمالي، المبحث الثاني: التذوق الجمالي للفن والطبيعة، والمبحث الثالث: دور الذائقة الجمالية في تطور الوعي الجمال للبيئة.

منهجية البحث:

يرى الباحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته بطبيعة الدراسة الذي تم من خلالها جمع المعلومات وتحليلها والاستدلال منها النتائج الدراسة.

المبحث الأول- مفهوم التذوق الجمالي:

يعد مفهوم التذوق الجمالي من أهم موضوعات الخبرة الجمالية والذي يمثل المبحث الرئيسي في علم الجمال حيث يدرس خبرة الإبداع والتلقي أي الإبداع الفني في إنتاج الفنان لعمله وخبرة التلقي عند الجمهور المتذوق لهذا العمل. (بطاويسي، رمضان، 2011، ص105).

إن التذوق الجمالي هو أحد محددات السلوك الجمالي وهذا السلوك الجمالي تكتسبه عن طريق الإدراك والتخيل. فالتذوق الجمالي هو موقف منزه عن الغرض، إذ هو انتباه وتأمل متعاطف من خلال عزل الموضوع المتأمل وهذا التأمل هو باعث على نوع خاص من الارتياح والموقف الجمالي هو أن الاستجابة للموضوع الذي تتذوقه بطريقة متوافقة معه بحيث يكون نشاط إيجابي في تأمل العمل الفني والطبيعة. (بطاويسي، رمضان، 2011، ص106- 107). ويؤكد كانط على ذات الموقف فيما يخص التذوق المنزه عن الغرضية حين يعرف (الذوق على أنه القدرة على تقدير شيء أو نوع من الفكرة حيث إرضائها أو عدم إرضائها دون تحقيق غاية) فالحكم الذوقي هو الذي يمتعنا دون مفهوم أو غاية فلا قاعدة للذوق تحدد ماذا يكون الجميل. (إسماعيل، عزالدين ، 1955، ص80).

إن التفاعل سمة إنسانية في التذوق الجمالي بين الخبرة الجمالية للعمل الفني وبناءها وفق الخبرات والثقافة والثرات والبيئة كذلك التي تحتويها هذه الخبرة الإنسانية بما أن البيئة هي مجال التفاعل بين الإنسان والمحيط الذي يعيشه.(بطاويسي، رمضان، 2011، ص106). إن تذوقنا الجمال يقوم على تلك العلاقة الجدلية بين الجمال الذي نجده موضوعياً في الطبيعة الخارجية وبين الذات الإنسانية التي تتذوقها وتضيف جمالاً على تلك الطبيعة الخارجية الساكنة من خلال خيالنا وأفكارنا ووعينا وثقافتنا التي تعرف بالخبرة الجمالية ،ولعل هنا يكمن دور الفنان في إضافة تلك الذائقة الجمالية المشبعة بتلك الخيالات والأفكار والثقافة على البيئة بما فيها من طبيعة وجمال ذلك إن الإنسان هو ما يضيف للبيئة والطبيعة من خبرته الجمالية إضافة جديدة تنبع من ذاته المبدعة.

إذاً التذوق بهذا المعنى يكون موضوعاً هاماً ناتجاً عن الخبرة الجمالية التي تكون بين المرسل والمستقبل الأول مهمته إرسال رسالة جمالية من خلال وسائط جمالية إلى التذوق أو الذي يستقبل تلك الرسائل ويقوم بإعادة بنائها وفق خبراته.(بطاويسي، رمضان، 2011، ص106). ولعل هذه المشاركة بين المرسل والمتلقي نجدها واضحة في أفكار مدرسة فرانكفورت في عرضها للعمل الفني ومساهمة الاثنين في تنمية الذوق الجمالي المجتمعي وتوضيح فكرة الجمال بين ما هو محاكي

للطبيعة وما هو مضاف من إبداع فنان.

ومشكلة الذوق تعتبر من أهم المشكلات الجمالية فالحكم يختلف من شخص إلى آخر على اعتبار أن الأذواق مختلفة ولا يمكننا إنكار اختلاف الأذواق ونسبتها ذلك لا ضوابط في قوانين الطبيعة البشرية لاختلاف الأذواق فهو مختلف من مجتمع إلى مجتمع فعلى سبيل المثال يختلف الذوق في المجتمع التجاري عنه في المجتمع الزراعي والصناعي (إسماعيل، عزالدين ، 1955، ص75- 76). وإلى جانب اختلاف الأذواق الراجع إلى أسباب اجتماعية وبيئية وزمانية ومكانية. هناك اختلاف في الذوق يعود إلى الخلط بين الجمال وغيره من الصفات كالملائمة. (إسماعيل، عزالدين ، 1955، ص78) إذ إن ما يمتعنا يختلف عند البعض عن ما يلائمنا فكل جميل خالي من الغاية والمنفعة هو ما يمتعنا وكل ما يرتبط بغاية أو منفعة هو ما يلائمنا فالتفضيل كما يرى البعض لا يدل على الذوق الجمالي بمعنة الدقيق لما ينطوي عليه من استهداف منفعة ولكن أليس التفضيل في حد ذاته بمثابة إصدار حكم ذوقي على شيئين مختلفين قمنا باختيار أحدهما وفقاً لتذوقنا له جمالياً؟

ولتوضيح ذلك الخلط بين الجمال وغيره من صفات الامتاع والملائمة يمكننا الرجوع إلى التفرقة بين تجربة التذوق الجمالي، والتجربة العملية للإنسان في الحياة اليومية، فالأولى منزهة عن المنفعة، بينما التجربة العملية تتجه نحو تحقيق غاية ومنفعة مباشرة إذ لا يمكننا عزل الموضوع الذي يدركه عن باقي الموضوعات الأخرى كنشاط يتسم بالطابع الترابطي في الحياة اليومية بالموضوعات الأخرى ولكن في تجربة التذوق الجمالي لكل عمل فني تنظيمه الداخلي الذي يعزل عن الموضوعات الأخرى ؛لهذا فنظرة المتذوق تحمل طابع انعزالي، فعلى سبيل المثال حين نعجب بعمل فني (كالرواية) نفصله عن علاقاته المتبادلة بالأشياء أي بين الموضوع والإنسان في التجربة. (بطاويسي، رمضان، 2011، ص110)

إما عطاء النفس في بحثهم عن مفهوم التذوق الجمالي ذهب بعضهم إلى أن مصدره ذاتياً ونسبياً يرجع إلى ما يثيره الشئ في أفكار البشر عن طريق تداعي المعاني من ذكريات وأفكار والتأثير النفساني الذي يؤثر ذواتهم، بينما البعض الآخر أرجع مصدر التذوق الجمالي إلى الموضوع لا الذات حيث يؤكد البعض على الموقف الذهني النقدي البعيد عن الموقف الانفعالي والنفسي. (أشرف، محمد، جلال،1974، ص145- 146).

كما ذهب فلاسفة الجمال إلى اتجاهين أحدهما يرى الجمال صفة في الشيء نلاحظها في الأشياء وتبعث في النفس السرور وهم أصحاب الاتجاه الموضوعي في تأكيدهم بأن الجمال يوجد في الموضوع

الخارجي الذي وإن توافرت فيه معايير الجمال من تناسب ونظام وانسجام كان جميلاً. بينما أكد الاتجاه الذاتي على أن الجمال موجود في ذواتنا ونحن ما نعكسه على الأشياء فهو موجود في الفكر والروح (باستخدام الروح الخلاق في جلاء الجانب العقلاني في الأشياء وتمثيلها في الخارج) كما يرى هيجل. (هيجل ،1981، ص303).غير أن هناك اتجاه يؤكد على أن تذوقنا للجمال والشئ الجميل ينبع من العلاقة المشتركة بين الذات والموضوع (في العلاقة بينها وإدراكها يتمثل في الشعور الذي يثيره فينا والذي يتوقف أيضاً على أحوالنا وتجاربنا، وليس على شروط معينة في الشيء نفسه). (بودبوس، ب.ت، ص95).وهنا يكمن التوافق في تذوقنا للجميل بين الذات والموضوع الخارجي.

المبحث الثاني- التذوق الجمالي للطبيعة والفن:

إن الجمال هو ما يمدنا بذلك الشعور من الرضى واللذة في النفس سواء كان جمالاً في الفن أو في الطبيعة غير أن تذوقنا للجمال الطبيعي يختلف من حيث التجربة عن الجمال الفني كما يختلف كذلك من حيث طبيعة التذوق فجمال الطبيعة من حيث التذوق يكاد يشترك فيه العامة من البشر فطرياً عليه فهو إبداع إلهي من صنع الجليل، فنحن قد لا نختلف على تذوقنا لجمال السماء أو البحار والأنهار بقدر ما يختلف في تذوقنا الجمالي للوحة فنية من خلق الفنان فالأذواق تختلف فيما يتعلق بالجمال الفني.

وفي هذا الخصوص أكد البعض أن الجمال الطبيعي لا ينطبق عليه الاختلاف في الأذواق فهو جمال قائم بذاته ومطلق (فالأذواق المختلفة ليس لها أن تؤثر أي تأثير في الجمال الذي تبدعه للحياة في الكون وفقاً لقوانين حركتها العامة فهو جمال موضوعي قائم بذاته). (الشهال، رضوان، 1961، ص131). والمقصود أن الجمال الطبيعي هو جمالاً مطلقاً لا اختلاف فيه في الحكم الذوقي، وأن الاختلاف في الاذواق يوجد في الجمال الفني، فلا جدال في القول بأن الجمال الطبيعي هو ما يمدنا بموضوعات الفن الذي يقوم الفنان بإعادة تصويرها وإبداعها في أعماله غير أن هذا الإحساس يتوقف على الخبرة الجمالية للإنسان وذوقه الفني، وتنحصر مشكلة الإدراك الجمالي في (إن المرء لا يتذوق العمل الفني إلا إذا كان متأملاً ومشاركاً في الوقت نفسه).(عبده، مصطفى، 1999 ص81).

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف في معيار التذوق الجمالي عند البعض في جمال الفني والطبيعي ولكن ما هو متفق عليه إن الجمال سواء في الفن أو الطبيعة (هو إدراك للعلاقات المريحة التي يستجيب لها الإنسان في شتى العناصر سواء كانت متوافرة في الطبيعة أي من صنع الخالق الأعظم أو كان الإنسان الذي صاغها في قوالب من الفن التشكيلي). (بسطاويسي، رمضان، 2011، ص113)

أما فيما يخص اختلاف الجمال الطبيعي في تذوقنا له عن الجمال الفني من حيث التجربة يكمن من حيث الشعور فشعورنا اتجاه الجمال الطبيعي الذي هو من صنع الله شعور بالجلال يتميز بالخشوع والرهبة والغموض حيث يأتي من شعور بعظمة قدرته فهو خلق جمالي من عدم على غير مثال سابق، ولا يمكن أن يقارن بما يبدعه الإنسان في فنه الذي يستمد مادته الفنية من شيء موجود مسبقاً ويشترك الكثير معه في استخدام هذه المادة التي يعيد تشكيلها من جديد حسب قدرته وإحساسه الداخلي ونسمي ذلك الإحساس الشعور بالجميل أو التجربة الجمالية التي أول شروطها وجود مادة وسيطة تجسد من خلالها العمل الفني، أما الشعور بالجلال فهو أقرب للتجربة الدينية من الشعور بالجمال الذي هو عبارة عن تجربة جمالية بين المتذوق والفنان الذي يتم من خلالها إعادة صياغة ما يتذوقه من العمل الفني وفق خبراته وإدراكه وخياله (بسطاويسي، رمضان، 2011، ص114- 115).

والفنان هو ذلك الكائن الذي سيتحدث موضوعاته الجمالية عن طريق الفن ويستخدم الطبيعة من أجل التلاؤم والتكيف مع حاجته. لهذا لم يكن هدف الفنان تقليد الطبيعة، بل كان هدفه الأساسي تأكيد هيمنته على الطبيعة وتسخيرها في خدمته (ديد، هربرت، ب. ت، ص46). ولعل هذا الأمر يتضح في دور الفنان حين يضيف من إبداعه الفني جمالاً على الجمال الطبيعي ويتضح هذا الأمر في التفضيل الجمالي عند هيجل للجمال الفني على الجمال الطبيعي حين يكون لروح وفكر الفنان دوراً مهماً في الإضافة الجمالية من خلال فنه إلى الطبيعة الخارجية.

فالفن لا ينفصل عن الطبيعة كما أنه ليس تقليداً كاملاً لها، بقدر ما هو عبقرية تكمن في انتقاء ما يلائمه من جميل فيها ذلك لأن الفن (في جوهرة إنساني الصنع يستوعب الأشياء الموضوعية حوله، فيجعلها مصوغات ذاتية وجدانية، ثم لا يلبث أن يعيدها إلى الوجود عن طريق الفن) (عاص، ميشال، 1970، ص36).

ويفرق كانط بين الجمال الفني والطبيعي في قوله (إن الجمال الطبيعي شيء جميل، في حين أن الجمال الفني تصوير جميل لشيء) حيث يرى أن تقدير الجمال الطبيعي لا يلزمنا شيء سوى الذوق بينما يلزمنا من أجل تحقيق الجمال الفني موهبة أو عبقرية تضيف جمال الصورة على أشياء في الطبيعة (علي، حسين، ب.ت، ص223- 224). وهنا يؤكد كانط على العبقرية الفنية عند الفنان في خلق موضوعات جمالية تضاف إلى الطبيعة ذلك إن الطبيعة لا تضيف لفنان جمالاً بقدر ما هو يضيف إليها وإن كانت هي المادة الأساسية الذي يستمد منها الفنان خلقه الفني ولكن قدرته على

الإبداع والتعبير في إضافة جماليات للطبيعة وللبيئة بصفة عامة يختص بها الفنان المبدع تكمن في عبقريته وخياله وإدراكاته.

المبحث الثالث- دور الذائقة الجمالية في الوعي البيئي:

إن للذائقة الفنية دوراً فعال في تطور الوعي الجمالي للبيئة والمحيط الذي يعيش به الإنسان، فالبيئة ما هي إلا مجال التفاعل بين الإنسان المتذوق أو الفنان وبين المحيط المعاش ولهذا المحيط عدة مستويات منها الاجتماعي والطبيعي والثقافي فهناك عناصر تحدد مفهومنا للجمال وتوضح هذه العلاقة بين الإنسان وبيئة جمالياً وهذه العناصر منها العقلية والوجدانية والمعرفية والثقافية والاجتماعية كذلك، فكلما ارتفع مستوى التذوق الجمالي وتثقيب الحواس وتدريبها على الإدراك بعناصر الجمال والاحساس به ارتقت الذائقة الجمالية بالبيئة وأصبح الإنسان قادراً على تمييز عناصر الجمال في البيئة وتنميتها للارتقاء بها للحد من العناصر التي تشوهها فخصوصاً وإن التذوق الجمالي هو بمثابة السلوك المكتسب من الإدراك والخيال القائم بدورة على تنمية الذائقة الجمالية إزاء البيئة (بسطاويسي، رمضان، 2011، ص106). وما يجب علينا معرفته فيما يتعلق بمفهوم البيئة إن للبيئة معنى طبيعيا يشمل كل ما يحيط بالطبيعة من مباني وحدائق ومعنى اجتماعي يضم الفن والقيم والأفكار والتراث والتقاليد والسلوكيات (علي، محمد، علي، 1992، ص31). وكل هذه المعاني تجسد العلاقة المشتركة التي تربط بين الإنسان والبيئة. كما تربط بين الجمال وحاجات الفرد ومطالب البيئة التي لا تقصر على مناظر الطبيعة الجمالية بقدر ما ترتكز على الاهتمام الإنساني بجماليات الشكل للمكان الذي يندرج تحت المعنى البيئي والتي تتضمن (أماكن المشاهدة، وقاعات العرض، المسرح) حيث يتضح في هذا المجال الجمالي الخاص بالبيئة والإنسان عملية التذوق والتلقي التي لا تعد إن تكون منزهة من الغرض إن سلمنا بأن الفن يكرس من أجل البيئة كما تكرس البيئة لأجل جماليات حياة أرقى للإنسان (شاكر، عبدالحميد ، 2008، ص400- 401).

ولفهم دور الذائقة الجمالية من وجهة نظر فلسفة الفن وإنعكاسها على البيئة لابد من معرفة رؤية الفن من المنظور البصري حيث اختلف فلاسفة الجمال حول النظر إلى العلاقة المباشرة بين الرؤية الفنية والمنظور البصري. فقد أكد البعض أن رؤية الفنان تتحدد وفقاً لذلك المنظور البصري المتضمن في مطالعة الحياة ومشاهدة الطبيعة. فالرؤية الفنية لا يمكنها إن تكون انعكاساً فارغاً للمرئيات إذ تظل فكرة ملاحظة الطبيعة خاوية ما لم يعرف الفنان الصور التي يطالع من خلالها، ذلك إن رؤية العين تتحدد في صور معينة في أن الأوجه الجديدة والتي تنكشف للعالم المرئي

ومضمونها تتضح في كل صورة تتبلور وتنضج من جديد (الديدي، عبدالفتاح، 1981، ص49-50). من خلال طرق يبدعها الفنان في خلقه الفنية ورؤيته للطبيعة التي تجسد طبيعة الحوار بينه وبينها باعتبار الفنان إنساناً وهو ذاته طبيعة وجزء من الطبيعة الذي لا يمكننا تجاهلها(الديدي، عبدالفتاح، 1981، ص51) إلى جانب ذلك أكد البعض الآخر من الفلاسفة المحاكاة الحرفية ونقل الطبيعة كما هي في جماليات فنونهم بصورة طبق الأصل عن الجمال الطبيعي حيث عكست المحاكاة الأفلاطونية للفن ذلك النظرة الجمالية.

إن هذه العودة والانتباه إلى الطبيعة والتي تتضمن البيئة بمعناها الطبيعي والاجتماعي والفني والثقافي تختلف عن الرؤية الفنية القديمة، في منظورها إلى الطبيعة فالطرق مختلفة بين المنظورين في التجربة الجمالية للعالم الطبيعي، فدور الفنان ووعيه وخياله وإدراكه للجمال في الدراسات الحديثة يختلف عن المنظور القديم الذي يحاكي الطبيعة جمالياً بصورة حرفية يغيب بها دور الذائقة والخبرة الجمالية للفنان الذي يلعب بها الخيال والوعي في التعبير والتغيير عن الجمال المحاكى للطبيعة بصورة طبق الأصل عن الطبيعة.

وبهذا الموقف الجمالي انقسم حوله فلاسفة الجمال في علاقتهم الجمالية للفن والطبيعة ونظرتهم للأشياء إلى قسمين منهم استخدم نظرته الخاصة في تحويره لما تحويه الطبيعة لإعادة صياغة الطبيعة وعناصرها بفكرة لتكمله ما عجزت الطبيعة عن إكمالها من خلال إيحاءات يشهدها الإنسان عند مشاهدة الطبيعة.

ولعل أرسطو من بين الفلاسفة في تحديده لهذا الموقف الجمالي الذي يؤمن بعدم المحاكاة الحرفية لما هو طبيعي ودور الفنان بيده المبدعة في تكملة الجمال في الطبيعة الذي تزود الإنسان بعناصرها لكي يخلق بها فنوناً جميلة مختلفة.

وبالتالي فهو يؤكد إن رؤية الفنان ينبغي أن لا تقف عند الحرفية في محاكاته للطبيعة بل في رؤيته الفنية لخلق ما لاتستطيع الطبيعة أن تحققه إلى جانب تأكيده على أن الواقع يشمل جميع أنواع المحاكاة والأشياء القبيحة في الواقع قد تتحول برؤية الفن أو المحاكاة الفنية إلى جميلة وممتعة بفضل قدرة الفنان الجمالية في آثاره السرور والمتعة. (مطر، حلمي، أميرة، 1997، ص79).إن معالجة الفنان لموضوعات الطبيعة بصورة تشكيلية جمييلة وبطرق لم تستطيع الطبيعة أن تحققها في محاولة من الفنان تقويمها واستكمالها وعدم الاعتماد على النقل الحرفي في الطبيعة، وأن استمد الفنان عناصره منها هو المنطلق الأساسي للتغيير وتجاوز النظرية الإفلاطونية في فن المحاكاة

الحرفية للطبيعة.

وإذا ما ألقينا نظرة لفلسفة أفلوطين الجمالية نجده يؤكد إن كل ما يتجسد بفكر المعقول هو ما يحمل الجميل وعليه فالفنان إذ أراد الكمال في عمله ألا ينقل عن الطبيعة بقدر ما يستمد من عالم العقل الصورة الكاملة التي تتشكل الطبيعة بها. لهذا فهو يرى إن كل ما يخلو من العقل لا يكون جميلاً وإن الوجود كله يدين لقوانين العقل (مطر، حلمي، أميرة ، 1997، ص107- 108). وهذا يعني إن إفلوطين يرى إن كل ما هو عقلاني يهيمن على عناصر الطبيعة.

كما إن الطبيعة يمكننا مشاهدتها من خلال التكنولوجية الحديثة التي تعد من أهم العناصر في تقوية الخبرة البصرية بمحتواها التشكلي.

والذائقة الجمالية وعناصرها الطبيعة. فالإنسان من خلال احتكاكه بالطبيعة وما يلاحظه في حياته اليومية وما يكتسبه من خبرات تتكون لديه تصورات عن بيئته وواقعه ووعيه الجمالي إلى جانب ثقافته البصرية لظواهر الطبيعة كمصدر هاماً لإبداعته. ويعرف عبدالحميد شاكر، الثقافة البصرية على أنها: "ثقافة متعلقة بالأحداث البصرية التي يبحث المستهلك من خلالها عن المعلومات والمعنى والمتعة بواسطة التكنولوجية البصرية والتي يقصد بها أية أشكال أو أجهزة جديدة تم تصميمها للنظر إليها لكي تقوم بتعزيز حالة الرؤية البصرية وإضافة خبرات جديدة إليها" (شاكر، عبدالحميد، 2008، ص561). وهذا المنظور الثقافي والبصري للفنان ينعكس بدوره على رؤيته الفنية كمرسل في العملية التذوقية للمتذوق أو المستقبل في مشاهدته الجمالية والارتقاء بمستوى الذائقة التي تربط بين الفن وعلم الجمال البيئي.

إذن فالذائقة الجمالية يمكن تقويتها وتنشيطها من خلال الثقافة البصرية والمعتمدة على وسائل التطور التكنولوجي والذي بدورها تعزز الرؤية البصرية للمتذوق للمنظور الطبيعي وما نشاهده من مناظر في الطبيعة؛ ولهذا فالوعي بمجموع العناصر الجمالية بين تجربتي المشاهد والفنان في تذوقهم للتجربة الجمالية في المجال البيئي تضعنا أمام التكوين الثقافي والحضاري الذي يربطنا برؤية الفنان وتذوقه للجمال إلى جانب ذلك المنظور البصري لما تحمله البيئة على المستوى الطبيعي المادي والطبيعة الإنسانية وعلاقتهم بالذائقة الجمالية. فالتكوين الثقافي والحضاري للمتذوق هو الذي يمدنا بالوعي والقدرة لتحقيق جماليات قيمية سامية ترفع من مستوى الذائقة الجمالية وخصوصاً وإن الفنون تعادل أرقى القيم المعنوية في تزويد الإنسان بالخبرات الجمالية لتلك الذائقة لمساعدتها على خلق بيئة متحضرة.

وإذا رجعنا إلى علم الجمال الظاهري نجده قد تجاوز التركيز على البصريات ليهتم بمجموعة الإنطباعات الفنية الذي ينقلها للمتذوق من خلال تجربته الجمالية بحيث يؤثر على عين المتذوق من خلال ذلك الانطباع الخاص في رؤية المشاهد البصرية التي لا تستند على تأسيس حقيقة ما خلال الفن بقدر ما توجه حقائق معينة من ظاهرة إلى عين المشاهد. فعلم الجمال اليوم يهتم بتحليل تجربة المشاهد واستنتاج الدلالات الجمالية من التجربة الجمالية عند المتذوق ويتفق علم الجمال الظاهري مع التجربة الجمالية في الموقف الأرسطي من وراء الانطباع الذي ينقله الفن المتذوق ولاسيما في الفن الترجيدي عند أرسطو الذي ينقل الانطباع الخاص بالتطهير من وراء هذا الفن عند المشاهد، وهذا يؤكد إن اكتمال التجربة الجمالية الذي لا يتحقق دون التواصل بين تجربة المشاهدة الجمالية وتجربة الفنان الجمالية. (الديدي، عبدالفتاح، 1981، ص54) وذلك من خلال الوعي المدرك بالعناصر الجمالية في مجال التذوق الفني بين الفنان والمتذوق.

إن قدرة الفنان في تجربته الجمالية تلك المتمثلة في وعيه وإدراكه وخياله إلى جانب ثقافته الفنية بعناصر الطبيعة المتنوعة هي المصدر الرئيسي في تقوية الذائقة الجمالية سواء عند الفنان أو المشاهد والذي بدورها تعالج كل ما يعتري الطبيعة من نقص وتشويه ذلك إن الخبرة الجمالية المتضمنة لكل العناصر الجمالية هي المسؤول على تطوير دور الوعي الجمالي للبيئة ولكل ما يحيط بنا.

ولعل هيجل من أبرز الفلاسفة الذين أكدوا على دور الوعي والروح في الذائقة الجمالية للفن فتذوق الموضوع الخارجي يأتي من خلال هذه الروح الإنسانية في إضافة جماليات للطبيعة الخارجية بحيث ينبثق الجمال من إبداع الروح الإنسانية لتعبر عن كل ما هو إنساني تلك الروح الذي اعتبارها أسمى من الطبيعة وإن أي إنتاج من خلق الروح والذي يعد الفن منها يكون أسمى من نتاجات الطبيعة ذاتها ؛لهذا كل ما يحمل طابع الروح يكون بالضرورة أرفع وأجمل من الطبيعة (هيجل، ص6) والجمال الفني أسمى من الجمال الطبيعي لسبب عند هيجل هو إن كل ما هو موجود يدين بوجوده لما هو أسمى منه وهو الروح ،والروح لا تلتقي بذاتها إلا في نتاجات الفن وما الجمال الطبيعي إلا انعكاس للجمال الفني النابع من الروح وما الجمال الطبيعة إلا كيفية "ناقصة للروح بل متضمنة بذاتها في الروح ومجرد من الاستقلالية" (هيجل، ب.ت، ص7) إن هذا التفضيل الجمالي عند هيجل للجمال الفني عن الطبيعي يؤكد على دور الإنسان الفكري في الأخذ من معطيات الطبيعة ومحاولة تجميلها حسب ذائقته وخبرته الجمالية من روحه وإحساسه الجمالي لكل ما هو

غير قادر على تغيير ذاته من جمال ثابت في الطبيعة.

فبدون تلك الذائقة الجمالية للفنان وعناصرها العقلية والحسية تظل البيئة بشكل عام مجردة من الإضافة الجمالية التي يلعب بها المشاهد والفنان دوراً في تزيين جمالها من إدراك عناصر الجمال للروح الواعية المتذوقة له في جماليات فنية تعكس ملامح الجمال على الجمال الخارجي وفق رؤية الفنان الخاصة وذائقته الجمالية من منطلق إن ما هو ساكن في الطبيعة من جمال لا يمكنه تقديم إبداع جمالي أكثر ما هو عليه مقارنته بتلك الإبداعات التي تخلقها الروح بعناصرها الثقافية والوجدانية والعقلية والاجتماعية.

ولكي تبدع الروح كما يرى هيجل لابد أن تخرج عن كل ما هو مألوف يحاول تكرر نماذج ثابتة من الطبيعة قد لا تضيف جمالاً كما تبدعه الروح. فالتعبير الفني لا يعطي طابعاً روحياً إلا حين يكون الفنان منصاعاً لفكره وروحه لخلق الجمال(هيجل، ب.ت،ص34) (فالفكر الواعي هو المسؤول عن التمثيل الفني لتظاهرات الحياة التي تتحقق في وحدة الفكرة مباشرة بين المفهوم وواقعه. (هيجل، ب.ت، ص303)

إن رؤية الفنان وخبرته في مجال التذوق الجمالي ووعيه الحسي بالمنظور البصري والثقافي هو العنصر الجمالي في الارتقاء بمستوى الذائقة الجمالية لتجربة المشاهد أو المتذوق في تطوير الوعي لجماليات البيئة وكل هو حولنا إذ وضعنا كذلك بيد الفنان المسؤولية الجمالية لملامح بيئته الذي يعيشها لما تحمله ذائقته من تأثير يهيمن على الطبيعة بإضافات الفنية المبدعة من تغيير كل تشويه وقبح يعتري الطبيعة والبيئة.

كما أن التكامل الجمالي يتحقق في البيئة من خلال بعدين من المؤثرات الشكلية والرمزية في مجال التذوق الفني للجمال للبيئة بحيث يؤثر الجمال الشكلي على خصائص الموضوع التي تؤثر في الاستجابة الجمالية من حيث اللون والتركيب والتوازن، بينما المؤثر الرمزي يشمل المعاني والرموز والمفاهيم الدالة على الارتباط بالخصائص الشكلية.(شاكر، عبدالحميد،2008،ص384) حيث تختص الجماليات الشكلية بتذوق الجمال المستمد من العالم البصري كالأشكال والإيقاعات والكتل والفراغات إلى جانب الجماليات الحسية التي تهتم بالمتع المتذوقة من الإنسان للإحساسات المتعلقة بالبيئة كالأصوات والروائح والألوان أما المعاني الموجودة في الطبيعة التي تبعث للأفراد نوعاً من المتعة كمشاهدة الطبيعة تتعلق بذلك الجمال الرمزي. (شاكر عبدالحميد، 2008،ص383-384) وهذه الأشكال الفنية التي هي من صنع الإنسان الفنان تلعب دوراً هاماً في مجال التذوق

الجمالي المتضمن في الخبرة الجمالية لجماليات البيئة حيث يستفيد الإنسان والمشاهد من خلال هذه المؤثرات في تثقيف حواسه وإدراكه ومخيلته في الدمج بين رؤية الفنان وثقافته البصرية والمؤثرات البيئية بكل عناصرها الطبيعة والاجتماعية والقيمية والفنية في رفع مستوى التذوق والإحساس بالجمال في البيئة.

ولكن كيف يتم تثقيف الحواس لتصبح الذائقة الجمالية أكثر ثراء؟ ويكون ذلك من خلال تدريب الحواس على التقاط التفاصيل وتكرار التجربة الجمالية والقدرة على التمييز واكتشاف تلك التفاصيل في إلتقاء الإنسان بالموضوع الجمالي، فالعين المدربة على قراءة العمل الفني تشعر بالبناء بين أجزاء الصورة المدركة التي تصل إلينا من المعطيات الحسية التي تعد عنصراً رئيسياً في التذوق الجمال، وبدون تثقيف الحواس يكون التذوق ضعيفاً؛ لأن الإدراك يكون مفتقداً للتنظيم كما أن تكرر التجربة الجمالية تغير من تذوقنا إلى الأجمل لكي ندرك الفروق وطبيعة العالم بما أن الذائقة الجمالية بمثابة نشاط تراكمي مكرر لفعل التذوق الجمالي والذي يكتسب الإنسان خبرة به في تغيير إدراكتنا لكل ما يحيط بنا من أشياء (بسطاويسي، رمضان، 2011، ص107- 108).

كما يلعب مفهوم التفضيل الجمالي دوراً هاماً في الذائقة الجمالية للبيئة على المستوى الطبيعي والاجتماعي.

حيث يقود مفهوم التفضيل إلى تعلم الإنسان واكتساب كل ما هو جديد من معلومات ومهارات في عملية اختيار البدائل الأفضل قيمة جمالياً ،وذلك عن طريق عملية التفاعل بين المعرفة والعقل والشعور بحيث ترتكز هذه العملية في التفضيل لجماليات البيئة على الدور الإنساني المتعلق بعنصر الوجدان وتأثيره على الشعور في الحكم الجمالي، أما العقل والمنطق في عملية التفضيل فيكون المسؤول على الاختيار واتخاذ القرار، غير إن الفيصل في التفضيل للذائقة الجمالية للبيئة لا يرتقي إلى مستوى الجمال إلا بالتوفيق بين الأفكار الجمالية والوجدانية والنفسية للطبيعة الإنسانية بين العنصر الطبيعي تحت مسمى علم الجمال البيئي الذي يؤكد على الاهتمام بين المجال البيئي وعلم الجمال أي بين المجال البيئي في الطبيعة والحاجات الجمالية للأفراد ويتضح ذلك من خلال العلاق التي تجمع بين الجانب الطبيعي للبيئة من أماكن مستحدثة تتوافر بها الإمكانيات مع الأفكار الجمالية التي تجذب المتذوق إليها(شاكر، عبدالحميد، 2008، ص383- 385) .

إذن فالتوفيق بين عناصر الطبيعة الغنية في تنوعها وأشكالها ووظيفتها مع التفاعل الجمالي للإنسان من خلال حواسه وتفكيره على تدريب وتهذيب حواسه لتطوير ذائقته الجمالية إزاء ما يراه

من الأشياء الطبيعة والعناصر الجمالية من حوله لخلق أعمال فنية تزيد من جمالية البيئة وترفع من قدرته وخبرته الجمالية من خلال أفكار متطورة ونماذج تضاف إلى البيئة من الفن الجميل لأشكال ذات قيمة جمالية في الانسجام والنظام والترتيب الذي لا يقتصر على الطبيعة فحسب وإنما يشمل كل العناصر الجمالية من إدراك وتخيل وحس الإنسان في المجال القيمي والجمالي وكل ما له صلة بالبيئة ووسائل الحياة الواقعية.

ولعل هذه النماذج من الذائقة الجمالية للفنان في اتخذ الطبيعة نموذجاً بإعادة صياغة وتحوير ما يوجد في الطبيعة بفكرة تخدم نماذج جمالية حسب ذائقته الفنية كنوع من إعادة تشكيل هذه الطبيعة، تظهر بوضوح في الفن الشعبي الذي يستمد مفرداته الفنية من واقع البيئة وعناصرها والتفاعل مع الحياة، فثقافة الفن الشعبي ونماذجها الفنية في معظم أعمالهم ما هي إلا نموذج لفهم الطبيعة وإعادة خلق صوراً جمالية لقبول ما تحيط بها.

إن العودة إلى الواقع كان استجابة منطقية للفن الشعبي ليعلن وقوفه ضد كل نماذج من الفن اللاشكلي، ذلك أن الحداثة التي جاءت تجريدية بها شكلت انفصالاً عن الواقع. (الخميسي، موسى، 2008، ص209). فالفن الشعبي استثمر العديد من الخامات الموجودة في البيئة وتحويل كل ما هو يومي إلى نتاج فني جميل حيث تحولت البيئة من خلاله إلى وسط جمالي بفضل إبداعات فنانيها، فالمجتمعات المتطورة ارتقت بقوة فنونها التشكيلية وانعكاسها جمالياً على البيئة.

كان الواقع والحياة اليومية بكل ما فيها تمثل مواضيع مستوحاة كمصدر للفن الشعبي (عبود عطية، 1985، ص207) ويتضح نماذج فنونهم من خلال مواد مستمدة من البيئة والواقع للكثير من الخامات من الطبيعة كالأخشاب والأوراق وحطام السيارات والنفايات من المواد الطبيعة من أجل التقرب من الواقع (عبدالله حسين، 2008، ص300).وبذلك ساهمت رؤية الفنان وثقافته البصرية والمنظور الطبيعي في تشكيل الوعي بالذائقة الجمالية للبيئة في محاولة لبعض نماذج مأخوذة من البيئة ولاسيما في الفن الشعبي من مواد فنية ساهمت في تقديم جمالية جديدة اكسبت العمل الفني دلالات موضوعية جديدة في استثمارها الإمكانات التشكيلية للأشياء العادية من الواقع بكل مظاهره، وهذه الأساليب جاءت بلغة تشكيلية مستحدثة تتوافق مع متطلبات العصر بكل ما فيه من فوضى وجمال لإعادة تحويرها بصورة جمالية.

إن تنشيط الذائقة الجمالية تتطلب من الأشخاص الفهم السليم لمعنى الثقافة البصرية سواء من وسائل إعلامية أو تكنولوجية تسهم في تثقيف الوعي والحس للمنظور البصري للطبيعة ذلك؛ لأن

عملية التذوق الجمالي لما حولنا تستلزم الإلمام بكل تلك العناصر التي تساهم في الوعي الجمالي لأشكال الطبيعة الإحساس بها فالدور الذي تلعبه الثقافة البصرية في إثارة المدركات البصرية والخيال يزيد من خبرتنا الجمالية للمنظر الطبيعي "إذ لابد نركز اهتمامنا أولاً على مركزية الرؤية البصرية، وكذلك أن نركز هذا الاهتمام، ثانياً على أهمية العالم البصري في إنتاج المعنى، وفي تأسيس القيم الجمالية وفي الإبقاء عليها، وفي تغييرها، وأن نركز اهتمامنا ثالثاً، على الصورة النمطية الجامدة حول النوع، وحول الآخر، وحول علاقات القوة داخل الثقافة، وبين الثقافة الواحدة والثقافات الأخرى" (عبدالحميد، شاكر ،2008، ص561) كل تلك الأمور يستفاد منها الإنسان في تدريب وتنمية الذائقة والاحساس بالجميل في علاقته مع الطبيعة والبيئة بصورة عامة وهذا التطور الملحوظ نجده في الفن المعاصر ابتداء من تجاوز الرؤية البصري للطبيعة بصورتها الحرفية إلى تطور الرؤية الفنية من خلال الوعي بالعناصر الجمالية التي ترفع من مستوى التذوق الجمالي من عنصر عقلي ووجداني وثقافي اجتماعي إلى جانب الثقافة البصرية التي تساعد على رفع الذائقة الجمالية تلك الثقافة التي تعزز الرؤية البصرية للبيئة على المستوى الطبيعي من مشاهد الطبيعة جمالياً إلى جانب الوسائل التكنولوجية والأجهزة المتطورة من وسائل التواصل والتي تقوم بدور فعال في تثقيف الإحساس بالجمال والوعي لإعادة صياغة الواقع بشكل جمالي لكل ما هو مشوه يعتريه النقص في البيئة في محاولة تغييره من خلال السلوك المكتسب من الخبرة الجمالية بفعل الذائقة الجمالية الواعية في تطوير الجمال البيئي.

خاتمة:

يتبين لنا من خلال هذا البحث العديد من النتائج يمكن عرضها على النحو الآتي:

1. إن للذائقة الجمالية عند الإنسان دوراً هاماً في الإضافة الجمالية للبيئة بشكل عام وللطبيعة، فالذائقة هي إحدى محددات السلوك الإنساني الذي يعكس قيم جمالية يكتسبها المتذوق من عدة عناصر تؤثر على ذائقته الجمالية تأثيراً إيجابياً أولها العناصر الجمالية المتعلقة بالعنصر الوجداني والعقلي والحسي من تدريب الحواس وتثقيفها على الإحساس بالجمال، وثانيها العناصر الذي تكتسبه الذائقة الجمالية من خلال الثقافة البصرية من وسائل حديثة تكنولوجية متطورة لوسائل التواصل الاجتماعي التي ترفع من مستوى الذائقة إزاء البيئة وتعزز رؤيتنا للطبيعة بما فيها من تنوع في أشكالها ذلك إن ما يشاهده الإنسان من علم الثقافة البصرية يساعد على تثقيف المنظور البصري للبيئة والخبرة الجمالية.

2. إن لعلاقة الذائقة الجمالية بالبيئة أهمية في كونها تمس سلوكياتنا في الحياة اليومية فالتفاعل سمة إنسانية في التذوق الجمالي بين الإنسان المتذوق وبيئته والمحيط الذي يعيش به فكلما كان الإنسان مثقفاً جمالياً انعكست قيم الجمال في سلوكه وفي التعاطي مع البيئة.

3. إن ذائقتنا الجمالية هي سلوك قيمي جمالي يكتسبه المتذوق من خلال خبرته الجمالية ليعكس الإنسان بفعله قيمه جمالية لكل ما هو فوضوي أو عبثي أو مشوه من مظاهر القبح الموجود في الواقع.

4. إن الموقف الجمالي عند فلاسفة الجمال المعاصرين إزاء التذوق الجمالي لمجالي الجمال في الفن والطبيعة يؤيد تلك الغائية في علاقة الإنسان مع بيئته إذ وضعنا في الاعتبار إن الفن يكرس لأجل الجمع بين مطالب البيئة والحاجة الجمالية بين ما هو ملائم مفيد وما هو ممتع جميل فهذه العلاقة الغائية لا نستبعدها في مجال يربط بين جماليات بيئة وذائقة جمالية من خلال المصلحة المشتركة في علاقة الإنسان ببيئته. فعامل المنفعة هنا لا ينفصل على الحكم الجمالي والتذوق إذ وضعنا في الاعتبار إن الإنسان الذي يعيش وحده لن يشعر بحاجة إلى التزيين ولا أن يزخرف قبعته ويجمع الزهور أو حتى يزرعها ولهذا لا يمكننا اعتبار التذوق الجمالي للبيئة منزه عن الغرض بصورة مطلقة .

5. إن تكرار التجربة الجمالية للمشاهد والفنان تعزز من الذائقة الجمالية للبيئة على المستوى المادي الطبيعي والإنساني ؛ذلك لأن الذائقة الجمالية بمثابة نشاط تراكمي لفعل التذوق لتغيير إدراكنا لكل ما هو حولنا في البيئة بصورة جمالية.

6. إن المعطيات الطبيعة والإنسانية والتي تحمل قيم جمالية واسعة من تكوين ثقافي وحضاري وفني وقيمي إلى جانب الثراء الطبيعي من عناصر جمالية متنوعة في الطبيعة هو المكون الرئيسي للذائقة الجمالية.

7. كلما ارتفع مستوى الذائقة الجمالية بتدريبها على إدراك عناصر الجمال وتثقيف الحواس ارتقت الذائقة الإنسانية بالبيئة والإحساس بجماليتها الإضافة والتغيير والتحوير للشكل الطبيعي حسب وعيه الجمالي وتذوقه الفني.

8. إن إحدى المعالجات الواجبة لتنشيط الذائقة الجمالية هي إعادة تفعيل تدريس التربية الفنية كمادة أساسية للنشئ ودلك لخلق حالة توعوية اتجاه العمل الفني والاحساس بالجمال وفهم طبيعة الخبرة الجمالية.

المراجـــع:

1. شاكر عبدالحميد، التفضيل الجمالي (سلسلة ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1990).
2. رمضان بطاويسي، دراسات في علم الجمال المعاصر، الطبعة الأولى (دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، 2011).
3. عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، الطبعة الأولى (دائرة الفكر العربي، مصر، 1955).
4. محمد جلال أشرف، الفلسفة ومشكلاتها (الحرية، الحقيقة، الجمال)، الطبعة الأولى (مطابع الخليج1974).
5. هيجل، فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيش، الطبعة الثانية (دار الطليعة، بيروت، 1981) .
6. رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، الطبعة الأولى (الدار الجماهيرية، بنغازي، ب.ت) .
7. رضوان الشهال، الشعر والفن والجمال، (مطابع البحتري، 1961).
8. مصطفى عبده، فلسفة الجمال، الطبعة الثانية (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999) .
9. هربرت ديد، الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري (دار القلم، بيروت، ب.ت).
10. ميشال عاص، الفن والأدب، الطبعة الثانية (المكتب التجاري للصناعة، بيروت، 1970) .
11. حسين علي، فلسفة الفن رؤية جديدة (دار المصرية السعودية، القاهرة، ب.ت).
12. علي محمد علي، التلوث البيئي والهندسة الوراثية (الهيئة المصرية، 1992).
13. عبدالفتاح الديدي، علم الجمال، الطبعة الأولى (مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1981).
14. أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها، بدون طباعة (المكتبة العربية، 1997) .
15. عبدالحميد شاكر، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك(الهيئة المصرية للكتاب، 2008) .
16. موسى الخميسي، اللون والحركة في تجارب تشكيلية مختارة، الطبعة الأولى (دار المدى، دمشق، 2008) .
17. عطية عبود، جولة في عالم الفن، الطبعة الأولى (المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1985).
18. حسين عبدالله، فن التصميم في الفلسفة والنظرية والتطبيق، الجزء الأول، بدون طباعة (دائرة الثقافة، الشارقة، 2008) .